

الانترنت والعلاقات الاجتماعية في الوسط الحضري الجزائري

الأستاذ : بوعروج محمد نجيب

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية - قسم علم الاجتماع

جامعة الجزائر2

البريد الالكتروني : nadjib16007@hotmail.fr

-مُلخَص

تُركّز هذه المقالة على الاتّصال الافتراضي وبناء العلاقات الاجتماعية عن طريق الانترنت، هاته العلاقات الافتراضية التي ساهمت في تطوّر المجتمع حتى أصبح عبارة عن قرية الكترونية عالمية، إن بناء العلاقات الاجتماعية عن طريق الفضاء الافتراضي له عدة سلبيات، فقد ساهم في ظهور الوحدة عند الشباب وكذا شعورهم بالعزلة عن المجتمع خاصة عند الإفراط في استخدام شبكة الانترنت.

-الكلمات الدالة: العلاقات الاجتماعية، العالم الافتراضي، الانترنت، الشباب.

Résumé

Cette étude est basée sur la communication virtuelle et la création des relations sociales à travers l'Internet, à la suite des relations virtuelles qui ont contribué à l'évolution de la société jusqu'à ce qu'elle devienne un village électronique mondial.

La construction des relations sociales dans l'espace virtuel a plusieurs inconvénients, il a contribué à l'émergence d'individualisme parmi les jeunes, ainsi que leur sentiment d'isolement de la société, en particulier lors de l'utilisation excessive d'Internet.

Mots clés: les relations sociales, le monde virtuel, Internet, les jeunes.

-مقدمة:

لقد عاش الإنسان منذ القدم في هذا العالم الواسع، حيث اضطر للانسجام مع ظروفه الطبيعية والمناخية الصعبة والقاسية، وقد كَوّن جماعات صغيرة أو مجموعات أصبحت مع مرور الوقت قبائل وعشائر وقرى، ثم دول فامدن. لقد قام الإنسان بتكوين هذه المجموعات عن طريق الاتصال وذلك لحماية نفسه ومصالحه، حيث اتّسمت علاقاته الاجتماعية في تلك المرحلة بصورتها التقليدية البسيطة، فعملية الاتصال كانت تتمّ وفقا للتواجد في نفس البيئة أو المحيط أي الحضور الفعلي للأفراد في نفس المكان أو ما يسمى بالتواجد الفيزيقي للأفراد الذين يتواصلون ضمن شبكة الاتصال.

استعملت الرّسائل والبرقيات عن طريق سعات البريد أو بواسطة الحمام الرّاجل وذلك قبل اختراع التلغراف والهاتف والفاكس ومن بعدهم الراديو والتلفاز فالإنترنت. لقد كان الإنسان يقطع مئات الكيلومترات مشيًا على الأقدام أو على دابته أو عربته أو في زورق أو قارب وذلك للالتقاء بأهله وأحبائه وبهذا فإنّه يتحمّل مشقة السّفر لأيّام وربما لأسابيع وشهور، إضافة إلى تعرّضه لعدّة مخاطر وإضاعة لا مفرّ منها للوقت والجهد والمال، أمّا في عصرنا فأصبحت «هذه الوسائل الاتصالية الصّاعدة ترسم مجال علاقتي جديد مبني على الاتصال عن طريق الحواسيب والشبكات عوض الالتقاء بصورة جسمانيّة فيزيقيّة».¹ وهذا ما يصطلح عليه بالتطوّر الاجتماعي أي أنّ: «كلّ المجتمعات تمرّ بمراحل محددة خلال الانتقال من الصّورة البسيطة إلى الصّورة المعقّدة».² ومنه ظهر وشاع مصطلح «القرية العالميّة» تعبيراً عن توحّد العالم في إطار تواصل واحد وتعبيراً عن تعارف أجزائه ببعضها

¹ Dominique Nora: "les Conquérants du Cybermonde", Gallimard, 1997, P17.

² بدوي السيد: "مفهوم التطوّر، معجم العلوم الاجتماعية"، الهيئة المصريّة العامة للكتاب، القاهرة، 1975، ص 27.

بشكل جيّد بفضل شبكات الاتصالات التي تغطيه، كما لو كنا نعيش في قرية صغيرة، حيث يعرف الجميع بعضهم البعض وتنتشر الأخبار فيها بسرعة.

تعيش المجتمعات اليوم في عصر الانفجار المعلوماتي والمعرفي، ومنه لا بد لنا من مواكبة هذا التغير الحاصل من خلال التعايش مع مختلف التطوّرات التكنولوجيّة مهما اختلفت ميادينها واتّسعت، وذلك باعتماد شبكة الانترنت العالمية كواحدة من أهم الاختراعات الحاصلة في مختلف الميادين عامة وكمصدر معلومات خاصة، هذا لأنها إحدى أهم إنجازات تكنولوجيا الشبكات في عالمنا المعاصر، حيث أنّها من أنجع الطرق للبحث وأسهلها على الإطلاق لما توقّره من معلومات من جميع أنحاء العالم، وذلك من خلال خدماتها المختلفة كالشبكة العنكبوتية، والبريد الإلكتروني، وخدمة نقل الملفات وأدوات البحث التي توفرها... الخ.

لقد شاع تعبير «مجتمع المعلومات» حديثاً، بعد أن ظلّ لسنوات حبيس مراكز الأبحاث والدّراسات، ووقفاً على المتخصّصين، وهو يدلّ اليوم على وضع المجتمع في العصر القادم، عصر المعلومات الذي ظهر تحت تأثير التغيرات السريعة والجذريّة التي سببتها ثورة المعلومات والاتصالات والتكنولوجيا، قد نخطئ حين نظنّ أنّ وجهة نظر أحد الباحثين تمثل تماماً الشكل الذي سيكون عليه مجتمع المعلومات بل أنّ وجهة نظره لا تمثّل سوى تصوّره ومشروعه الخاص لهذا المجتمع، وهو مشروع قد يتلاقى وقد يتضارب مع مشاريع أخرى عديدة، وسينهض مجتمع المعلومات من هذا الجدل والحوار ومن الأثر الفعلي الناتج عن تقاطع هذه المشاريع، وعن محصلة القوى التي تقف وراءها، لأنّ مجتمع المعلومات سيكون الصورة التي نقرّر نحن أن نصنعها، وبالشكل الذي تسمح به الظروف الموضوعيّة المحيطة بنا³.

مبتكر هذا المصطلح هو عالم الاجتماع الكندي Marshall McLuhan وسائل الاتصال وسائط الإعلام الجماهيريّة «Mass Media» التي تتّسع عنده لتضمّ جميع أشكال الاتصال بين النّاس بما فيها: التّلفاز، الصّحف والحاسوب والمواصلات.

³ عبّاس بشّار: "ثورة المعرفة، التعليم بوابة المجتمع"، دار الفكر، دمشق- سوريا، 2001، ص 17-18.

لكنّه يركّز في هذه «القرية العالميّة» على التّكنولوجيا الجديدة للمعلومات والاتّصالات لإمكانياتهما الحاسمة والشّاملة على المستوى العالمي، كما يرى فيهما امتدادا تكنولوجياً لأعضاء الحسّ البشري وإدراك المحيط الإنساني والطبيعي، وبالتالي تلعب هذه الوسائط عنده الدور الحاسم في تطوير وعي الفرد وإدراكه ومعرفته بنفسه وبالعالم المحيط به بدفق المعلومات التي توصلها له، وتتركّ بالتّالي التأثير الكبير عليه سواء على نفسيته أو على بنية المجتمع الذي يعيش فيه.⁴ أمّا جوزيف بيلتون Joseph Pelton خبير الاتصالات فإنّه لا يبتعد كثيراً في المستقبل وهو يتحدّث عن «قرية إلكترونيّة عالميّة»، تشكّل فيها خدمات الاتّصال العامل الأساسي والحيوي لتكوين مجتمع المعلومات.⁵ ، هذا الكمّ الهائل من التّكنولوجيا أدّى بنا إلى تطوير أنماط معيشتنا وأفكارنا وأصبح يطلق على هذا النوع الجديد من المجتمع اسم «مجتمع المعلومات».⁶ حيث يقول مانويل كاستلز Manuel Castells في هذا الصّدد: «أنّ مجتمع المعلومات يمكن وصفه بأنّه تدفق وانسياب للمعلومات يتمّ من خلال شبكات المنظّمات والمؤسّسات، وهذا التدفق والانسياب يمثّل سلسلة صادقة ومكررة ومبرمجة من التّبادل والتّفاعل بين الفضاءات الماديّة (الفيزيقيّة) غير المتّصلة والمحتلّة من الفعاليّة الاجتماعيّة في المنظّمات الرّسميّة والمؤسّسات الاجتماعيّة».⁷

-مطارحة الإشكاليّة

⁴ عليان ربيعي مصطفى: "مجتمع المعلومات والواقع العربي"، دار جرير للنشر والتّوزيع، الأردن، الطّبعة 1، 2006، ص38.

⁵ نفس المرجع، ص38.

⁶ Manuel Castells: "La société en Réseaux L'ère de L'information", Ed Fayard, Paris, 1999, P9.

⁷ Manuel Castells: "The Net and The Self working notes for a critical theory of the informational Society", [//coa.sagepub.com/cgi/pdf_extract/16/1/9](http://coa.sagepub.com/cgi/pdf_extract/16/1/9), 11/06/2009.

لقد جسدت الظاهرة التكنولوجية الحديثة أو ما يعرف بثورة المعلومات بجدارة واستحقاق شعار الفعالية وأسست معالم أمة افتراضية وحددت قواعدها عن طريق الإعلام الآلي كأداة للحرية والازدهار الفردي والجماعي، حيث أصبح قطاع التكنولوجيات الحديثة في الإعلام والاتصال هو القطاع المسيطر في الألفية الثالثة عن طريق الحضور شبه المطلق لتكنولوجية الكمبيوتر والوسائط المتعددة التي تعدّ لغة إعلامية حديثة تنتشر بسرعة وتقدّم نوعاً جديداً من الاتصال التفاعلي الذي يدفع نحو ظهور مفهوم مجتمع الإعلام العام. ولقد كانت شبكة الانترنت الوسيط الإلكتروني الجديد الذي سجّر لهذه المهمة عن طريق ظهور مؤسسات اجتماعية والمتمثلة في النوادي الإلكترونية «Cybercafé» باعتبارها مؤسسات علمية تربوية وثقافية، تهدف بالأساس إلى ترقية المعرفة في أوساط الجماهير بوجه عام وترقية المعرفة العلمية وتجديدها بالنسبة للمتخصصين بوجه خاص بما يساهم في تحقيق الرقي الثقافي والعلمي لروادها وبالتالي تساهم في تجاوز كلّ ما من شأنه أن يشوّه أو يعطلّ عملية التنمية الاجتماعية والتقدم في المجتمع.

أفرز التطوّر الكمّي والنوعي لهذه الفضاءات العديد من الوضعيات والرّهانات وأحدث تغييرات في البنية السوسيوثقافية للمجتمعات المعاصرة وبهذا المعنى فإنّ الدور المنوط بهذه النوادي الإلكترونية أصبح محل مساءلة دائمة. ولقد كان لهذه المستجدات أثراً كبيراً على مختلف المستويات، ومن هذا المنطلق حاولنا مقارنة هذا الموضوع من خلال التركيز على أهمّ الرّهانات والتحديات التي يطرحها استخدام شبكة الانترنت ومحاولة تقييم وظيفة ودور النوادي الإلكترونية على المجتمع الجزائري، لقد حررت التكنولوجيا النقلة الأفراد من قيود التواجد في مكان معين، للاتصال وللنفاذ إلى المعلومات العلمية وحياتها، وجعلت بإمكان الأفراد في المناطق النائية المنعزلة أن ينفذوا إلى أرقى المؤسسات التعليمية.⁸

تُمثل الانترنت وسيلة للاتصال ويتوقف توظيفها على الشخص الذي يستعمل هذه الوسيلة، ولكن الدراسات أثبتت أنه يمكن أن ينتج لاستخدام الانترنت تأثيرات على العلاقات الاجتماعية، إن أول هذه التأثيرات ظهر بالنسبة للأطفال، إذ

⁸ عبّاس بشار، مرجع سابق، ص 24.

تبين أنه يؤدي إلى إمكانية عزل الطفل اجتماعيا وعدم تفاعله مع بقية أفراد الأسرة أو الأقران مما يفقده ظرف بناء المهارات اللازمة للتفاعل مع الآخرين إلى جانب أن الانترنت قد فتح مجالا للاتصال لم يكن موجودا أمام الشباب في الماضي خاصة فيما يسمى بالمحادثة هذا أدى إلى بناء علاقات مع أفراد من خارج المجتمع المحلي والوطن وأدى في بعض الحالات إلى إمكانية إيجاد وظيفة أو حتى الزواج هذا بالنسبة للشباب... أما بشكل عام فقد أصبحت الانترنت مصدرا أساسيا للمعلومات والمصادر المعرفية إلى جانب استخدامه في تشكيل اتجاهات وقيم الأفراد مما يُعطي الدول التي تمتلكه إمكانية فرض ثقافتها على أفراد المجتمعات الأخرى.

إنَّ وجود شبكة الانترنت قد أفقدت الوحدات التقليدية التي كانت مسئولة عن تنشئة الإنسان كثيرا من وظائفها وأهميتها... فأصبح مصدرا أساسيا في عملية التنشئة مما يتطلب دورا أساسيا من قبل الأسرة والمدرسة والدولة في ضبط مضامين ما تحمله شبكة الانترنت للتأكد من ضبط الجانب السلبي الذي يمكن أن تحمله تلك المضامين. إن ثورة المعلومات والاتصالات وانتشار الانترنت في البيوت والمؤسسات والمقاهي تعد ظاهرة تستحق الاهتمام والدراسة لمعرفة آثارها الاجتماعية والنفسية كما تركت آثارها في الجوانب الأخرى العديدة.

إن استخدام الانترنت من قبل العديد من الناس وخصوصا شرائح المراهقين والشباب أصبح من الظواهر التي يرى الإنسان العادي انعكاساتها مع كل من يتعامل مع هذه الشرائح.. فاستخدام الانترنت أصبح بديلا للتفاعل الاجتماعي مع الرفاق والأقارب وأصبح همّ الفرد قضاء الساعات الطويلة في استكشاف مواقع الانترنت المتعددة مما يعني تغييرا في منظومة القيم الاجتماعية للأفراد حيث يعزز هذا الاستخدام المفرط القيم الفردية بدلا من القيم الاجتماعية وقيم العمل الجماعي المشترك الذي يمثل عنصرا هاما في ثقافتنا.

بالمقابل فإنّ الاستخدام الفردي للحواسيب والانترنت يُعزز الرغبة والميل للوحدة والعزلة للشباب مما يقلل من فرص التفاعل والنمو الاجتماعي الذي لا يقل أهمية عن النمو المعرفي وحب الاستطلاع والاستكشاف. إن بعض الدراسات الأولية تشير إلى أن استخدام الانترنت يعرض الشباب إلى مواد ومعلومات خيالية وغير واقعية مما يعيق تفكيرهم وتكيفهم وينمي بعض الأفكار غير العقلانية وخصوصا ما يتصل منها

بنمط العلاقات الشخصية، وأنماط الحياة والعادات والتقاليد السائدة في المجتمعات الأخرى.

إن استخدام الانترنت أصبح مصدرا من مصادر الضغوط النفسية والاجتماعية والاقتصادية على الأفراد حيث أن الفرد غير المنتمي إلى ثقافة الانترنت يتعرض إلى النقد من الرفاق لعدم مواكبته لعناصر هذه الثقافة كما أن هذه الممارسة قد تكون مكلفة ماديا وخصوصا للأفراد الذين لا دخل لهم، إن بعض المهتمين يشيرون إلى أن دخول الانترنت مجالات الحياة الواسعة أصبح عاملا مساعدا في تقوية الفجوة بين الأجيال فيما يتعلق بثقافة الحوسبة والاتصال مع العالم الخارجي.. لا بل إن الكثير من الناس الذين لا يتمتعون بميزة استخدام الانترنت أصبحوا عرضة للاتهام بالتخلف والغباء مما يساعد على تطوير نموذج من الصراع الاجتماعي والثقافي بين الأجيال أو شرائح المجتمع أو بين الصغار والكبار أو الأبناء والآباء.

إنّ العلاقات والروابط الاجتماعية في بلادنا تتميز بالاستقرار نوعا ما وهذا لا يعني أنّها لا تتغيّر إذ أنّ التحوّلات الاقتصادية والاجتماعية وغيرها والتي عرفها المجتمع الجزائري في السنوات الأخيرة أثّرت عليه وغيّرت نوعية نسيج العلاقات وغلب عليها طابع التحرّر ومواكبة العولمة، ومن كلّ هذا فقد قمنا بتسليط الضوء في بحثنا هذا على الكثير من الجوانب والعلاقات التي يربطها الشباب وأثر ذلك على علاقاته الأولية الأساسيّة (التي أنشأها من قبل) وحتى أثر علاقات الصداقة وغيرها على العلاقات الأسريّة والتأثيرات التي تمرّ بها هذه الأخيرة، ومن هنا يمكننا طرح التساؤلات التالية :

1- هل تؤثر العلاقات الاجتماعية الجديدة التي يُنشئها الشّاب بواسطة الانترنت على روابطه الاجتماعية القديمة؟

2- هل الانترنت تُعوّض النقص أو الفراغ لدى الشّاب؟ وهل تساعد على التعبير عن مكبوتاته بكلّ حرية؟

3- هل تعوّض هاته العلاقات الافتراضية الجديدة شبكة العلاقات الاجتماعية الواقعية؟

هناك فرق كبير وشاسع خاصة في الدّول المتخلّفة الآن حول إشكاليّة التحضّر و فرق آخرين العيش في الرّيف والعيش في المدينة حيث أنّه منذ القدم تميّز الرّيف وتعلّق بالعرش والقبيلة والالتحام والقرابة والنّسب والعلاقات المتينة بين أفرادها خاصة أفراد العائلة الواحدة أو العرش، وهناك أيضا فرق في التطوّر بينه وبين المدينة وظروف العيش مختلفة أيضا فالرّيف يتميز بقساوة طبيعته ونقاوة هوائه عكس المدينة ذات الشوارع والعمارات الضّخمة والهواء الملوّث، فمن كل هذا أكيد أنّ تأثير الانترنت واستخدامها يختلف من الرّيف إلى المدينة حسب ظروف العيش وحسب طبيعة العلاقات بين أفراد المجتمع.

يعرف كلا المجالين: الرّيفي والحضري علاقات تشكّل نسق المجتمع وتكامله وتربط أفرادها وتنظّم سير حياتهم وهي ما يصطلح عليه العلاقات الاجتماعية وتعرّف بأنّها: «الروابط والآثار المتبادلة بين الأفراد والمجتمع وهي تنشأ من طبيعة اجتماعهم وتبادل مشاريعهم واحتكاكهم ببعضهم البعض ومن تفاعلهم في المجتمع».⁹

تعتبر العلاقات الاجتماعية التي تنشأ بين الأفراد في مجتمع ما نتيجة تفاعلهم مع بعضهم البعض من أهمّ ضروريات الحياة، وتختلف الروابط الاجتماعية من مجتمع إلى آخر وتتمّ عن طريق التّفاعل الاجتماعي «Social Interaction» والذي يعرف: «بأنّه ذلك التأثير المتبادل بين سلوك الأفراد والجماعات من خلال عملية الاتصال، حيث أنّ التّصوّر البسيط للتفاعل الاجتماعي يقصد به ما ينبع عن الطبيعة البشريّة من تأثير متبادل بين القوى الاجتماعية والثقافية ذاتها هي نتاج للتفاعل الاجتماعي».

كما يعرفه أحمد زكي بدوي في مُعجمه: «ذلك السلوك الإرتباطي الذي يقوم بين فرد وآخر أو بين مجموعة من الأفراد في مواقف اجتماعية مختلفة، أي أنّ

⁹ مذكور إبراهيم: "معجم العلوم الاجتماعية"، الهيئة المصريّة العامة للكتاب، الإسكندرية، 1975، ص403.

التفاعل الاجتماعي في أوسع معانيه هو تأثر الشخص بأعمال وآراء غيره وتأثيره فيهم، وبمعنى أن هناك تأثير وتأثيرا فعلا وانفعالا في أي موقف إنساني».¹⁰

التكنولوجيا غيرت سلوك الأفراد خاصة الانترنت، فمثلا: أصبحت قاعات الانترنت مفرّ وقبلة الشّاب الجزائري من العالم الخارجي، فكما يقول كاستلز: «التكنولوجيا الجديدة للمعلومات أدخلت العالم في شبكات وظيفيّة وهو ما خلق كمّ هائل من العلاقات الوهمية أو اللاّحقيّة Virtuelles».¹¹

لقد استحوذت الانترنت على كلّ هذا الاهتمام مقارنة بوسائل الاتصال الأخرى كالهاتف والفاكس ووسائل الإعلام، لثمنها المنخفض وسهولة استخدامها في التّهار واللّيل، وكذا لبساطتها شكليّا، كما أنّها تلبي حاجيات الحياة الحضريّة وتعتبر عنصرا من عناصر التّحضّر والتطوّر عند المجتمعات، ومنه تمكّنت مقاهي الانترنت من كسب شعبيّة مختلف الفئات الاجتماعيّة ومن مختلف الأعمار والطّبقات ومختلف المستويات التعليميّة.¹²

الشّباب وجدوا هذه المقاهي ملاذا لهم وفي أيّ وقت وبثمن معقول بعض الشيء مقارنة بوسائل الاتصال الأخرى كالهاتف مثلا، إذ بإمكانهم الجلوس في أيّ ركن أو زاوية من المقهى وفتح باب الحرّيّة وإطلاق العنان لمخيّلتهم وأفكارهم الواسعة وغرائزهم واستعمال الدّردشة التي غيرت مجرى حياتهم وما تكوّنه من علاقات اجتماعيّة. إنّ الشيء الملحوظ في هذه المقاهي هو وجود نوع من الحميميّة والحرّيّة في هذا المجال العمومي وكذا هناك استحواذ مؤقت لهذا المجال العمومي، حيث يشعر الفرد فيه بالراحة والأمن ويتخلص (مؤقتا) من بعض القيود كالرقابة العائليّة

¹⁰ بدوي أحمد زكي: "معجم مصطلحات العلوم الاجتماعيّة (انجليزي، فرنسي،

عربي) "، مكتبة لبنان، 1986، ص389.

¹¹ Manuel Castells: "La Société en Réseaux, L'ère de l'information", IBID, P43.

¹² Elodie Raux: "Les intimités anonymes du cyber café à l'ombre d'internet", L'esprit du temps/Champ Psychosomatique, Bouscat-France, 2002/3-n° 27, P53.

والاجتماعية، كما تساعده الانترنت على التحرر من بعض العادات والتقاليد والقيم التي يراها رجعية ومتخلفة.

لقد تكلمت عالمة الاجتماع والأنثروبولوجيا Elodie Raux في مقالها المشهورة حول الحميمية في مقاهي الانترنت في ظلّ الانترنت حيث قالت: «أنّها تفضّل تطوير علاقات الأنوميا والعلاقات المؤقتة، ففي مقاهي الانترنت يمكن للفرد ربط علاقة أو فكّها، فله الحرية المطلقة في ذلك، كذلك أنّ هذه العلاقة التي يكوّنها الفرد ذات مسؤولية محدودة هي ملك للمجال العمومي، تشبّيهها بلعبة بقناع»، وكما تقول: «تخلّص من الأدوار وافعل ما تريد».¹³ لقد تغلّغت الانترنت في المجتمع إلى حدّ إدمان بعض أفرادها عليها وكما يقول Philip Breton : "الوقت الذي يقضيه الفرد أمام الحاسوب ليس له أيّ علاقة مع الوقت العادي الذي نعيشه".¹⁴

لقد أنتجت الانترنت وخلقت عدّة ظواهر اجتماعية لم تكن معروفة مسبقا، فخلقت ما يسمّى بازدواج الشخصية عند الأفراد المدمنين عليها، إذ نرى الفرد في مجتمعنا يفرّ لمثل هذه المقاهي بحثا عن الحرية والإباحية وهروبا من عادات وتقاليد مجتمعه التي قد يراها رجعية روتينية، إذ تجد معظم الشباب الجزائري في مقاهي الانترنت يتّجهون نحو الدردشة وسماع الأغاني ورؤية الأفلام والفيديوهات ومقاطع البلوتوث وتصفح مختلف المواقع ذات الطابع الإباحي، ومنهم شباب مصّلون ولهم التزامات كأن يكونوا أزواجا وآباء، ويؤدون فريضة الصلاة وفي المسجد أحيانا وربما غالبا، فهذا تناقض وازدواجية في الشخصية بشكل جليّ وواضح.

كما نجد فكرة استقلالية الفرد واعتماده على نفسه في اتّخاذ قراراته حتى إن عارضت المؤثرات الخارجية (المجتمع أو الدولة، المؤسسات التعليمية والعائلة)، وهو ما يعرف بالفردانية التي بدت ملامحها واضحة في مجتمعنا، حيث يعرفها لويس دومون على أنّها: «الأيديولوجية التي تفضّل الفرد وتهمل أو تخضع الكلية

¹³ Elodie Raux : **IBID**, P56.

¹⁴ Breton **Philip**: "**Le culte de l'internet**" Une menace pour le lien social, Ed CASBAH, Alger, 2004, P50.

الاجتماعية». ¹⁵، إنّ التفرد «Individualisme»: هو مفهوم حديث أستعمل لأوّل مرّة في الترجمة الإنجليزيّة عند «توكفيل» في كتابه «Tocqueville's Democracy in America» سنة 1840، فهي إذا فكرة قديمة بعض الشيء. ¹⁶، إذن الفردانيّة تشدّد على فكرة الاستقلالية واعتماد الفرد على نفسه في اتّخاذ قراراته وبالتالي فهي مضادّة للعادات والتّقاليد والدين وأيّ معيار أخلاقي خارجي، وقد عرفها الشاب الجزائري خاصة على مستوى الانترنت فهو إذا يحاول إثبات نفسه والتّفرد بآرائه وأحكامه على الأشياء التي يلاحظها ويحسّ بها مهما كلّفه ذلك وحتى إن خالفت آراء مجتمعه ومعتقداته.

كذلك هناك ظاهرة أخرى متعلّقة بالانترنت وخاصة بمقاهي الانترنت وهي ظاهرة الأنوميا والتي تعني اللامعيارية «Anomie»، أي انعدام القانون أو انعدام الخطّة أو انعدام الثّقة أو تعني الشّك وقد أوردت بعض القواميس الكلمة على شكل «Anomie» لتعني حالة من الاضطراب، أو اختلال النّظام، أو الشّك وعدم اليقين، أو الحياة بدون قانون، وعند استعمالها من طرف المتخصّصين في العلوم الاجتماعية فإنّهم يشيرون إلى خاصيّة تتعلّق بالبناء الاجتماعي، فهي تعبير عن انهيار المعايير الاجتماعية التي تحكم السّلوّك كما تعبّر أيضا عن ضعف التماسك الاجتماعي، وعند انتشار حالة اللامعياريّة بشكل واسع بين أعضاء المجتمع، تفقد القواعد التي تحكم السّلوّك فيه مفعولها أو قوّتها. ¹⁷

قاعات الانترنت تفضّل تطوير علاقات الأنوميا بسبب الشّك القائم فيها خاصة في مجال إقامة العلاقات بسبب وجود كثير من الأشخاص هدفهم المزاح الثّقيل والكذب ودخول مواقع الدردشة ومواقع أخرى على أساس أنّهم فتيات أو نساء

¹⁵ دومون لويس: "مقالات في الفردانية منظور أنثروبولوجي للأديولوجيا الحديثة"، ترجمة: دبدر الدين عردوكي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت- لبنان، 2006، ص25.

¹⁶ الجوهري عبد الهادي: "معجم علم الاجتماع"، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1998-1999، ص196

¹⁷ Clinard, BM: "Anomie and Deviant Behavior, New York", The Press, 1971, P226.

للاحتيال على الأشخاص أو لمجرد الضحك على مرتادي مثل هذه المواقع لإيهامهم بعلاقات هي في الحقيقة «مجرد لعبة عندهم». إذا هناك ثغرة في هذا المجال وهي عدم وجود رقابة من هذا النوع في الانترنت دفعت لظهور الأنوميا لدى مرتادي مقاهي الانترنت، ومنه يمكننا طرح السؤال التالي:

- هل استقلال الفرد واعتماده على نفسه أو ما يعرف ب(الفردانية) إضافة لإحساسه بانعدام الثقة والشك أو ما يعرف باللامعيارية (أنوميا) في المجتمع الجزائري هو السبب في لجونه لمثل هذه المقاهي (هروبا من الواقع وبحثا عن الحرية) لإنشاء شبكة علاقات جديدة ؟

-خاتمة

تُعتبر شبكة الانترنت رائدة في مجال الاتصالات في عصرنا هذا وعلى كل المستويات وهي إحدى الصور التي تتجلى بها العولمة وهاته الأخيرة لها علاقة وثيقة مع الهوية، والعولمة هي وسائل وآليات وصُور ومعاني ورُموز تُنقل إلى العالم بواسطة الأقمار الصناعية وأجهزة التلفاز والراديو وبرامج الكمبيوتر وشبكة المعلومات العالمية «الانترنت» هاته الأخيرة أثرت كثيرا في حياة الأفراد والجماعات وفي أسلوب حياتهم وحتى في مُعتقداتهم ولُغتهم وفي كل مُكوّنات الثقافة، وفي هذا السياق يُمكن أن يكون لعلم الاجتماع دورا حاسما وفاصلا في مُحاولة فهم أسباب هُروب الشباب لمقاهي الانترنت ونوعية العلاقات التي يُنشئها الشباب في مقاهي الانترنت وعبر شبكة الانترنت، وبالتالي تقديم تحليل نظري موضوعي ليُمثّل هذه القضايا والمسائل التي ما تزال محورا رئيسيا تدور حول مختلف النقاشات التي تُحاول أن تُفسّر الكيفية التي بواسطتها تُؤثر التكنولوجيات الحديثة في النسيج الاجتماعي للعلاقات الفردية ولقد حاولنا من خلال انجاز هذه الدّراسة والتي توخينا فيها أقصى حدّ من الدّقة والموضوعيّة، الوصول إلى تحقيق جُملة من الأهداف والتي رأينا بأنّها مُهمّة وجديرة بالتحقيق.

فعن طريق اختيارنا لموضوع العلاقات الاجتماعية بصورة عامّة، والعلاقات الاجتماعية عبر الانترنت بصورة خاصة، أردنا أن نأتي بالجديد والخروج نوعا ما عن المألوف من المواضيع والدّراسات التي تتكرّر هُنا وهُنالك. كما أنّه من خلال دراستنا

لموضوع الانترنت من حيث مُختلف أوجُه استخدامات واستعمال هذه الشبكة من طرف الشباب أردنا تبين مدى قُدرة علم الاجتماع بصورة عامة والتحليل السوسيولوجي على وجه الخُصوص على كشف وإبراز بعض الحقائق والوقائع وتسليط الضوء على جوانب مُظلمة من الواقع الاجتماعي خاصة فيما يتعلّق بالعملية الاتّصالية، رغم أنّ هذا الموضوع غالبا ما يميل إلى علم النفس الاجتماعي لأنّه عبر شبكة الانترنت يُعبّر الشاب عن مكبوتاته، إلّا أنّ هذا الموضوع يُدرس ضمن إطار الجماعة والعلاقات الاجتماعية، فكان الهدف الأوّل من الدّراسة إبراز الأهميّة السوسيولوجيّة لظاهرة الاتّصال.

لقد رأينا من خلال الدّراسة إقبال الشباب الكبير على شبكة الانترنت واستخدامه في مختلف المجالات والاستفادة من خدماتها المتنوّعة يتطلّب حدّ أدنى ضروري من المعرفة في ميدان استعمال الكمبيوتر والتحكّم في تقنيات الإعلام الآلي، كما رأينا إقبال الشباب على إنشاء علاقات عبر الانترنت هذا الإقبال الكبير الذي وجدناه سواء عند الشباب القاطن في المنزل الفردي والفيلا أو القاطن في الشقق وذلك عند الذكور والإناث على حدّ سواء، كما وأنّه ومما لا شكّ فيه أنّ هذه التكنولوجيات الحديثة للاتّصال وعند إدراجها ضمن النسيج الاجتماعي والثقافي فإنّها تولّد آثار قد تكون في غالب الأحيان سلبية هي ناتجة عن كلفة توظيف هذه الوسائل واستخدامها من طرف الأفراد والشباب وذلك في مختلف مجالات الحياة داخل المجتمع.

إنّ الحاجة اليوم مُلحة من أجل الاستخدام الأمثل لشبكة الانترنت وذلك حتّى لا نتخلّف عن الرّكب الحضاري، إنّ نظريتنا يجب أن تكون ايجابية ودون إغفال الجوانب السّلبية، فباستطاعة شبكة الانترنت أن تكون نافذة تُفتح من خلالها الثقافة الوطنيّة على العالم، وتُساهم في زيادة إطلاّع الفرد على الأحداث وراء الحدود الجغرافيّة مما يُقلّل من عزّله وانطوائه، فالثقافة تُزوّد الفرد بمُختلف القيم وتمنّحه الثقة بنفسه من أجل مُواجهة الآخرين والتعامل معهم باحترام خُصوصيته وتميّزه الثقافي، الأخلاقي والاجتماعي، فعلى اعتبار أنّ وُلوج عالم اليوم إلى الألفيّة التالية بكلّ ما تحمله من تحدّيات ورهانات مُستقبلية، وجب علينا زيادة الإبداع والإنتاج الثقافي المُعبّر عن الهوية الثقافية وإثراء مُحتوى المواقع المحليّة.

-قائمة المراجع

1- القواميس والمعاجم

- 1- الجوهري عبد الهادي: معجم علم الاجتماع، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1998-1999
- 2- بدوي أحمد زكي: معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية(انجليزي، فرنسي، عربي)، مكتبة لبنان، 1986
- 3- بدوي السيد: مفهوم التطور، معجم العلوم الاجتماعية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1975
- 4- غيث محمد عاطف: قاموس علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1979
- 5- مذكور إبراهيم: معجم العلوم الاجتماعية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، 1975

2- المراجع باللغة العربيّة

- 6- دومون لويس: مقالات في الفردانية منظور أنثروبولوجي للأديولوجيا الحديثة، ترجمة: دبدر الدين عردوكي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت-لبنان، 2006
- 7- عباس بشار: ثورة المعرفة، التعليم بوابة المجتمع، دار الفكر، دمشق- سوريا، 2001
- 8- عليان ربيعي مصطفى: مجتمع المعلومات والواقع العربي، دار جرير للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2006

3- المراجع باللغة الأجنبيةّة

- 9- Breton Philip: Le culte de l'internet Une menace pour le lien social, Ed CASBAH, Alger, 2004.

- 10- Clinard, BM: Anomie and Deviant Behavior, New York, The Press, 1971.
- 11- Dominique Nora: les Conquérants du Cybermonde, Gallimard, 1997.
- 12- Elodie Raux: Les intimités anonymes du cyber café à l'ombre d'internet, L'esprit du temps/Champ Psychosomatique, Bouscat-France, 2002/3-n° 27.
- 13- Manuel Castells: La société en Réseaux L'ère de L'information, Ed Fayard, Paris, 1999.

4- مواقع الانترنت

- 14- Manuel Castells: "The Net and The Self working notes for a critical theory of the informational Society", [//coa.sagepub.com/cgi/pdf_extract/16/1/9](http://coa.sagepub.com/cgi/pdf_extract/16/1/9), 11/06/2009.